يوسف ادريس على أريكة التحليل النفسي

القصة القصيرة "بيت لحم"

Yusuf Idris on the psychoanalysis chair
Short novel « Bait lahm »

الإسم عياش محمد

جامعة ابو القاسم سعد الله الجزائر2 (الجزائر)، mohamed.ayache@univ-alger2.dz

تاريخ الإرسال:2021/03/02	2021/03/18	تاريخ النشر:2022/10/22

الملخص:

التحليل النفسي للأدب هو تناول نقدي حديث وله العديدٌ من الجوانب العملية، فهي تلك الآليات والأدوات التي يعتمد عليها الناقد لفَهم منبع العمل الأدبي، مرتكزا على مسلمات نظرية التحليل النفسي.

نحاول في هذه الورقة تحليل الحياة الهوامية لشخصية يوسف ادريس من خلال قصته القصيرة " بيت لحم".

سلطنا الضوء على العلاقة بين التحليل النفسي و الأدب و مدى تأثير السياقات الأولية في الموقف الإبداعي .

من اجل صبر السيروراته العقلية و الآلياته الدفاعية استخدمنا اختبار تفهم الموضوع الإسقاطي كأداة لمعرفة فحوى رغبات المؤلف المكبوتة ،و كيف تم استرجاع تابوا المشهد البدائي من اللاشعور .

بينت النتائج أن المؤلف استخدم العمليات الأولية من اجل سرد قصته القصيرة و مجمل الكلمات و الإحالات التي أوردها في قصته كانت من النوع السياقات البدائية (E).

الكلمات المفتاح : تحليل نفسي ، ادب ، سياقات، مشهد بدائي .

Abstract:

This research aims to investigate the fantasy life in" Youcef Idriss" short novel « Bayt lahm; house of meat » the title is a metaphor which describe four women who were sexually disadvantaged. This research sheds new light on the relationship between psychoanalysis and literature, by analyzing the impact of Primary process mentation on the artistic production of Youcef Idriss. Using the appreciation thematic test as a tool for making the difference between the author telling the novel and the strategies of process mentation.

In conclusion, according to data analysis, we confirm that the author used primary process mentation in telling his novel as the primitive scene. The data show that most types of words and citations using by the author were from E type.

Keywords: psychoanalysis, literature, mentation, primal scene

1.مقدمة:

لقد كرس فرويد جهدا كبير من أبحاثه لدراسة العلاقة بين علم النفس و الأدب والفن،و كان رأيه ان الغريزة الجنساية هي بمثابة الدافع الأوّل والأهمّ للميول الأدبية والفنية. وفقاً لهذا قام بمعالجة أعمال فنية و أدبية لشخصيتين بارزتين « فيودور دوستويفسكي » و « ليوناردو دافينشي » ، فافترض أن ظهور الإبداع الأدبي والفنّيّ عموما يتمَ في« العقل اللاواعي».

فاستطاع عن طريق اكتشاف « العقل اللاواعي » أن يحقق تطورا كبيرًا في مجال النقد النفسي إذ ان دارسات النقد الأدبي والفنّيّ قبله كانت على أساس « العقل الواعي » .

تعدّ الأعمال الأدبية و الفنية الوسيلة التي يعبّر المرء من خلالها عن جميع احتياجاته ورغباته، وهو بمثابة تصوّر لهذا العالم، وإثبات للهويّة، كما يمكن تعريفها بالإبداع والابتكار ، أمّا الأدب فهو أحد أشكال التعبير النابعة عن حاجات الإنسان وتُلخّص مجمل عواطفه وأفكاره، مستخدمًا بذلك أرقى الأساليب المتّبعة في الكتابة، سواء في الرواية أو القصة القصيرة.

القصة القصيرة بالنسبة للتحليل النفسي تشبه الحلم من حيث قصرها و الكثافة و الترميز و إزاحته من حيث الوظيفة. فهي سرد حكائي نثري أقصر من الرواية، وتهدف إلى تقديم حدث وحيد غالبا ضمن مدة زمنية قصيرة ومكان محدود غالبا لتعبر موقف عن أو جانب من جوانب الحياة.

يتبلور ذلك من منطلق علاقاتها بالمجتمع، لذا نجد فيها حضورا للبعد الاجتماعي، والسياسي، والتاريخي، فضلا عن تجسيدها للأبعاد النفسية للمؤلف بالدرجة الأولى و سيكولوجية شخصيات القصة القصيرة.

اتبعنا المنهج سايكو نصي الذي يبحث عن البواعث النفسية وخفايا العالم الداخلي للمؤلف تحت مجهر الشخصيات الروائية داخل السرد اللغوي . سواء أكان من خلال سرود نفسية داخلية التي تصاغ بأساليب لفظية نابعة من لغة المؤلف الشخصية فترصد الحالات الذهنية السوية أو الباثولوجية . وما يعصف بالشخصية من صراعات شعورية أو لاشعورية مضطربة عبر علاقات ديناميكية متفاعلة بين الشخصيات في البعدي الزماني و

المكاني. و هدفنا من هذه الدراسة هو استنطاق قصة قصيرة ليوسف ادريس الموسومة بـ "بيت من لحم" التي مددناها على أريكة التحليل النفسي باستخدام ورقة فرز اختبار تفهم الموضوع TAT.

2.الإشكالية:

لقد أحرز التحليل النفسي نتائج باهرة في تعاطيه مع الأعمال الفنية بما فيها الأدب، وقد شجع ذلك كثيرا من النقاد على اعتماده كنمهج من مناهج النقد الأدبي ، فطبقوا مسلمات نظرية التحليل النفسي كاللاشعور وعقدة أوديب و المشهد البدائي ، في مقاربة نفسية على النصوص الأدبية ومنها القصة القصيرة (مصطفى لغتيري ،2020).

وهكذا أبلى المنهج النفسي في النقد الأدبي البلاء الحسن في مقاربة الكثير من الأعمال الأدبية، انطلاقا من أعمال ليوناردو ديفنتشي Leonardo Da vencci، التي قاربها فرويد محاولا تأكيد وجود علاقة بين اللاشعور و الإبداع الأدبي .

وجد النقاد في مفهوم الليبدو Libido ضالتهم فاتخذوه مدخلا لتحليلاتهم فاعتبروا المؤلف انه يمارس نوعا من التحويل Transfert أو الإسقاط Projection في أعماله، بُغيت التخلص من التوتر او تخفيض درجة القلقل العصابي او مكبوتة اللاشعوري بعمقه سيكولوجي (الشيماء،2018).

فالتحليل النفسي منذ بداياته الأولى علاقته ارتباطيه موجبة مع الأدب و نجد هذه الإشارة في أعمال فرويد الأولى حيث يقول " أن الممارسة التحليلية الأولى هي في جوهرها اختبار مبكر للكلام والخطاب" (رضوان ظاظا،1997.ص49).

و بهذا المنحى أعطى التحليل النفسي للنقاد فرصة دراسة نصوص الأدبية بعيدا عن التحليل الإكلينيكي المحض ليجعل من تقنياته نظرية أساليب لدراسة السيرورات النفسية التي تقف وراء الإبداع الأدبي و الفني عموما .

فإذا كان التحليل النفسي هو العلاج بالكلام La cure par le lagunage و التطهير القصدي لمحتويات اللاشعور المشحونة بالقلق و المعبر عنها بالخطاب، فان اللغة و السرد هما الوسائط التي يتجلى من خلالهما. بمعنى أخر أن التحليل النفسي هو تسريد نقوم بوساطته بحكي أثار ذكراوية للأحداث المكبوتة أو التي تعرضت للقمع .

ترى جوليا كريستيفا " ان التحليل النفسي يتعامل مع تأويل الأفكار و الدوافع المحصورة في اللاشعور فتتمكن من ارتداء أقنعة مصنوعة من كلمات لينة فتتمكن من العبور إلى سطح الشعور المراقب من قبل مبدأ الواقع"(Julia Kristeva. 1997).

كان فرويد يدعو مرضاه إلى التداعي الحر Association libre بهدف اجترار ذكريات الصدمة الجنسية المنسية في قاع اللاشعور السحيق، وذلك باستدعائها على شكل فقرات أو جمل أو تراكيب أو كلمات بصفته عميل Patient أما بالنسبة للأديب فهو يسقطها على الورق بمحض إرادته لتأخذ صورة العلاج و تفريغ الألم في ذات الوقت.

يستخدم النقد النفسي تقنيات تحليلية كي يفك شفرة بني اللاوعي الشخصي للإنتاج الأدبي عموما لينفض بها الغبار عن الآثار ذكراوية في حياة المؤلف، التي تظلّ محركا حيويا للصراعات النفسية التي تظهر عند البشر العاديين على شكل أعراض لمرض نفسي، أما عند الأدباء و المبدعين تظهر على شكل إنتاج فني أو أدبي .

من بين أجناس الإبداع الأدبي الذي يكشف الحياة النفسية للمؤلف القصة القصيرة و التي تعد جنس هجين على شكل شريط لغوي قصير يعيد الكاتب من خلاله ترتيب جزء من عالمه الداخلي نثرا.

هذا جنس أدبي استعار من الأجناس الأدبية الأخرى عدة خصائص، فمن الرواية استعار النفَس السردي والتركيز على التفاصيل و الوصف، من القصيدة اقتبس التكثيف والتوتر والإيجاز،من المسرحية استلهم الدراما و الحركة مع تجسيد الأحداث والحوار، من المقال اخذ الدقة و من الموسيقى استعار الإيقاع الداخلي (مصطفى لغتيري 2019).

في المجال القصة القصيرة يعد يوسف إدريس فارس مغوار طرح خلاصة تجاربه النفسية ذات البعد الإنساني، فجعل يُمعن في تحليل الشخصيات والأحداث بأبعاد نفسية متعددة، متأثراً بمهنته كطبيب نفسي ،تنوعت إسهاماته بين الرواية والقصة القصيرة والمسرح، ولكن ظل حضوره الأقوى متجلياً في المجال القصصي (كمال القاضي. 2020). وبتعدد كتاباته القصصية صار الطبيب نفسي أديبا معتمداً باعتباره أحد مبدعي القصة القصيرة في لون أدبي شديد الخصوصية كونه فناً دقيقاً اعتمد فيه على لغة الدلالة وتكثيف اللقطة، ورمزية الإشارات بمقاصدها الظاهرة أو الكامنة، فطوع الفكرة والصورة الذهنية معا.

أردنا البحث من خلال نظرية التحليل النفسي عن المكبوت و عقدة الخصاء وعقدة أوديب وعقدة إلكترا في القصة القصيرة ليوسف إدريس "الموسومة بيت لحم" ، ساعين وراء ذلك الكشف عن الدوافع اللاشعورية الجمعية و الفردية التي دفعت به إلى إنتاج هذه القصة القصيرة .

ومن وجهة نظر أخرى أراد الباحث الوقوف على منابع الاستهام الأصيل Les fantasmes originaires في السرد الكلامي ، سواء أكان هذا الكلام منطوقا على السنة شخوص قصة التي تحوم حول مناطق الظّل في شخصية يوسف إدريس و البحث عن الحيل النفسية التي جندها يوسف إدريس للتصدي للفائض النزوي .

لقد بذل يوسف ادريس جهدا عظيم لتصريف تلك النزوات ذات المحتوى الشبقي الملتحمة بالسوداوية ، ثم ينحرف بها بعيدا بالتلصص البصري voyeurisme ، لينتهي بتصوير المشهد البدائي la scène primitive وجماع المحارم الذي صوره فرويد في الطوطم و التابو Totem and Taboo الذي حدث بين أفراد الرتل البدائي (جورج طرابيشي2008) .

من خلال كل ما سبق طرحنا تساؤلات التالية بهدف كشف السيرورات العقلية التي لجأ إليها يوسف ادريس أثناء بناء معالم قصته القصيرة الموسومة "بيت لحم":

هل اسقط يوسف ادريس رغباته المكبوتة على شخصيات قصته ؟

هل أحداث "بيت لحم" بعثت على استرجاع المشهد البدائي من اللاشعور المؤلف؟

هل أساليب ارصان القصة القصيرة كشفت عن السياقات الأولية المتعلقة بالذهان من خلال أحداث القصة؟

3.سينوبسيس "بيت لحم" :

أدخل يستهل المؤلف قصته بمشهد بانورامي للمكان الذي تدور فيه أحداث القصة، ثم انتقل إلى الحدث المفجر الذي انخرطت فيه بطلات القصة، وهو تبادل أدوار لبس خاتم أمهن كل ليلة حتى تظفر بالمتعة الجنسية في جو من الخطيئة المسكوت عنها إراديا من قبل جميع شخصيات القصة و بتواطؤ المؤلف (2008،مصطفى.2008).

بعدها يقوم بالتعريف بالشخصيات ،يقدم للقارئ امرأة في الخامسة والثلاثين، لديها ثلاث بنات في سن الزواج، مات الرجل الوحيد الذي استمر مرضه سنتين، فأطبق الصمت على البيت وتمر أيامهن في انتظار الأمل ، علّ أحدا يأتي خاطبا إحدى الفتيات، وكل واحدة منهن تنتظر نصيبها، وسط هذا الصمت، ماعدا صوت المقرئ كفيف، الذي يأتي كل يوم عصر من يوم الجمعة، ليقرأ آيات على روح الوالد.

تتوالى الأحداث بعد فترة من الصمت، تقرر الفتيات أنه يجب على إحداهن أن تتزوج هذا الشاب الأعمى، وينتهي بينهن الاتفاق على أن أمهن هي من ستتزوجه، ليجلب إلى البيت الحظ والنصيب، وتدخل البهجة والضحكات إلى البيت من جديد، وزاد عدد الأنفس نفساَ، إلا أن الصمت يعود ويصبح سيد الموقف أيضا إلى النهاية، بعد أن قرر الفتيات أن يكن لهن نصيب في هذا الأعمى، بصمت و تتواطئ الأم في قبول هذا الحال، تضحية منها ورأفة بناتها الجائعات أبدا، وبصمت أيضا يستمر الأعمى في العيش معهن، مقنعا نفسه بعبارة "و ليس على الأعمى حرج".

إنها صورة فنية رائعة بجملها القصيرة توضح الحركة المترقبة المدروسة لما يتم في هذا الموقف والذي سيتكرر كثيرا فيما بعد لذا استخدم الكاتب زمن المضارعة ليدل على استمرارية الحدث واستحضار المشهد أمام عين المتلقي.

1.3تحليل:

عتبات النص التي تسهم في إنشاء دلالة مكثفة لمضمون النص و التنبؤ بجودة ارصان إشكاليةالسرد، كما يحمل في طياته عناصر التشويق التي تدفع بفضول المرء على القراءة لما يحتويه من إيماء و إثارة . يدفعنا عنوان "بيت من لحم" منذ الوهلة الأولى للتساؤل، كيف يكون البيت من اللحم ؟ ونحن نُسلم أن البيوت تكون عادة من اسمنت مسلح أو طوب أو خشب، منذ البداية يحفز المؤلف تفكيرنا عن ماهية هذا البيت الذي رمز له بالجسد و في أدبيات التحليل النفسي و إذا استعملنا كلمة لحم فهي كناية عن أوجاع البشر التي تسكنه فتحولت تلك الأجساد الادامية إلى طوب يكون جدرانه.

2.3.مقدمة القصة:

استهل الكاتب قصته بمقدمة مشحونة بالإسقاط و القلق و دلالات الرمزية المكثفة ،حيث اختزل بها المضمون بتجسيد أضلاع الهرم المكون للقصة و التي كان لها الدور المحوري في صياغة أحداث القصة و إشكاليتها حيث تمثلت هذه الأضلاع المكونة " لبيت لحم" في : الخاتم، الصمت، العمى و المصباح .

3.3. دلالة الخاتم:

من بين الدلالات العالمية التي يبعث إليها الخاتم هو عقد زواج أو بالأحرى الحلال حجة إقناع النفس بالأقدام على الفعل الجنسي دون تأنيب ضمير أو خوف من العقاب . أما المعنى العميق، فهو تلك الحركة الدائرية المفرغة، ويوحي كذلك بالوصم، والختم الذي يلتصق بصاحبه. ودلالته في سياق القصة تعني الخطيئة التي تتكرر كل ليل، مع عدم استقرار الموضع بالنسبة للكفيف E-12.

4.3. دلالة المصباح

من البديهي المصباح دليل على الإنارة وكشف الحقيقة و إزاحة العتمة و انبثاق النور، إلا انه في السياق السردي في "بيت لحم " لم يعد كذلك بل غدا مصباح بضوء اسود ينطفئ كل ليلة ، ليخفي الخطيئة و يلقي عليها العتمة ، التي اتفق عليها الجميع دون كلام.

5.3.دلالة الصمت

الصمت "في بيت لحم" هو الصراع بين أنظمة الجهاز النفسي الثلاث الهوا ،الأنا و الأنا الأعلى و في حالة المؤلف هو صراع بين الهوا و الأنا، الصمت في هذا المقام محرك رئيسي للأحداث و تصرفات شخوص القصة. الصمت الذي تكرر خلال النص عدة مرات وبدلالات مختلفة ما هو إلا تنازل من الأنا الأعلى و خضوعه لمتطلبات غريزة الايروس (اثنا أرنا الحق،2017).

الصمت في القصة تتغير أدواره مع تطور أحداث، فهو مرة صمت حداد و مرة أخرى صمت خطيئة و مرات عديدة هو صمت الضمير و هشاشة الرقابة و أخيرا هو صمت الخوف و الشك بالنسبة للكفيف، تداخل الأدوار و اختلاط الهويات E-11 .

6.3. دلالة العمى

ويحل العمى مرة أخرى في نهاية القصة القصيرة ليصبح تعاميا إراديا جماعيا، حتى المؤلف أصيب به فعاد إلى اجترار Remachage A3-1 المقدمة من جديد في حلقة مفرغة تشبه حركة الخاتم التي لا تتوقف.

والعمى لما يتصل بالمقرئ القران ، يوحي بعمى الأنا الأعلى السلطة الضابطة المكرسة للقيم و الأخلاق. كلما خيم العمى في الكوخ مارس الجميع الخطيئة و أصبحت الرغبة هي مسيرة أحداث القصة و من اجل إزاحة التوتر الذي ينهشه من الداخل لجأ المؤلف إلى عبارة و هل على الأعمى حرج في محاولة إدماج مراجع اجتماعية و حس مشترك A1-3 .

4. الدلالات النفسية للقصة القصيرة :

الجدول رقم 01: يبن الدلالات السردية الواقعية و الدلالات النفسية للكلامات المفتاحية

الكلمات/دلالات	دوره في الواقع	دوره في السرد النص
خاتم	خاتم زواج. حلقة. الدائرة. الختم أو الوصم. الملتصق لا ينفك عن صاحبه.	خاتم زواج الأرملة من الشاب الأعمى. تسرقه الابنة لتقضي وطرها مع زوج أمها. تعجب به الابنة الكبرى وكذلك الصغرى الأم تعطيه إياهن طواعية. تتناوب عليه الأم وبناتها الثلاثة في النهاية.

الدلالة النفسية	الإغراء و الترميز الشفاف للموضوع الشبقي، في سياق الوضعية الاكتئابية للبنات و أمهن . و الشك و الحيرة و الخوف من الكفيف وعدم استقرار الموضوع لديه.	
المصباح	نور الرؤية . اليقين. نور الأمل . النهار. الوضوح	أعين البنات المصوبة للمسافة بين أمهن وزوجها لمبة الكهرباء التي أضاءت حياة الام. كفانوس الأم الذي عشش عليه العنكبوت. عتمة يطفأ المصباح عند الاقتراب من موعد المتعة مساعد على ممارسة الحدث الرئيس في القصة (زنا المحارم).
الدلالة النفسية	التلصص البصري و مشاهدة سفاح القربى وجهة نظر البنات و هو انحراف للدافع البَصري (Scopophilia) نشأ من اللذة المتأتية من استخدام شخصٍ آخرَ كموضوع تَحفيز جنسيّ من خلال إمعان النظر ، قلق الخصاء في بعده الذكوري من جهة نظر زوج الكفيف.	
الصمت	عمى الآذان. حزن – يأس – انتظار. ملل – اختفاء – حيلة. مكر – سرقة – موت إحساس بالذنب– فقدان التواصل– قطع التواصل عن عمد.	مساعد على جريان الحدث الرئيس. الحزن بعد موت الزوج الأول. وقت التلاوة الروتينية . بداية الخطيئة ووقوع الابنة الوسطى فيها. صمت إرادي متفق عليه.
الدلالة النفسية	الإنكار الجماعي باستخدام عمليات الترميز الشفاف و التركيز على شبقية العلاقات مع تفاصيل نرجسية ذات قيم اغرائية. في نفس السياق يعد مقاومة لمتطلبات الأنا الأعلى الصارمة و الدخول في بعد توحدي Dimension autistique من اجل الابتعاد عن الم تأنيب الضمير.	

1.4.المعالجة:

وظف يوسف إدريس لتكثيف إنتاجه القصصي تقنية اللقطة التي تشبه إلى حد كبير مشهد الحلم أو سرد قصة من خلال بطاقة رائز تفهم الموضوع .

إن تقنية اللقطة تستدعي الآليات أخرى على التوالي من اجل تحويل الصدى الداخلي إلى إنتاج إسقاطي بواسطة اللغة. و كي تودي اللقطة وظيفتها لابد لها من تقنيات بالغة الأهمية: كصيغة التقديم، العرض، النظرة أو المرآة وبعدها التشريح فتنتهي بالمفاجأة التي تقود المؤلف والقارئ إلى الصرخة.

لجأ المؤلف إلى التسامي sublimation في محاول الهروب من نزواته الولاعية Passionnels الداخلية المتعلقة بالجنس أو التابو(المحارم) في المجتمعات الشرقية التي نتجت بفضل الكبت و الظروف الاجتماعية المغلقة. لذا استخدم أسلوب إسقاط النزوات على شخوص القصة لإبعاد التوتر و القلق الخصاء الذكوري عن ما قبل الشعور و شعور.

لا يخفى على الجميع أن في الأرياف كان جل الأطفال يذهبون إلى الترع كي يتلصصون بصريا voyeurisme على النساء و هن يغسلن الثياب و هن شبه عاريات.

فبقيت هذه الصور تطارد المؤلف طيلة حياته، كما هناك أيضا قصص عن مغامرات التلصص البصري على الأزواج في أكواخهم أثناء العلاقة الحميمة. و لم تضمر هذه الظاهرة إلا بعد انتشار الأدب الفاضح أو مع ظهور اللذة البصرية على شاشة سينما (هشام روحنا،2014).

دفعت الآثار الذكراوية طفليه المحصورة في ذاكرة يوسف ادريس إلى اجترار ذكريات الصدمة الجنسية و صعودها إلى مستوى الشعور فتجلت على شكل المشهد البدائي .

2.4.المشهد البدائي:

بـ "بيت من لحم" أعاد المؤلف بعث "المشهد البدائي" من جديد و الذي يتمثل في مشاهدة او تخيل البنات الفعل الجنسي بين أمهن وزجها الجديد ، فحاول محاكاة المشهد البدائي Scène primitive الذي قام فيه الأطفال البدائيين حين شاهدوا أوليائهم وهم يمارسون الجنس في عصور ما قبل التاريخ داخل الكهوف (Michèle Bertrand, 2010, P. 965).

فالمشهد البدائي (Scène primitive) اذن هو مصطلح من مصطلحات التحليل النفسيّ، يشير إلى المرة الأولى التي يشهد فيها الطفل العملية الجنسية، وتكون في العادة بين الوالدين، مما يشكل له صدمة في مسار نموه

النفسيّ. فالمؤلف في هذا السرد اعتمد على السياقات العقلية الأولية في إزاحة أحداث لقطة الكهف إلى المشهد القصصي على الشخصيات في الكوخ.

مستعملا الرمزية الشفافة Symbolisme transparent التي تعد من إيحاءات الشبقية الفضة في التحليل النفسي (Brelet-Foulard F. 2002).

ظهر المشهد البدائي في العملية الإبداعية على شكل تجربة ذهانية خاضتها شخصيات القصة أرملة ، زوجها الكفيف وبناتها الثلاثة، سقطن في ممارسات جنسية فوضوية وذلك برضا جميع شخصيات القصة ابتداء من الأم بصمتها إلى البنات بغريزتهن الجنسية وصولا إلى زوج الأم برضاه الضمني الذي يعزوه إلى العمى أين يتعذر عنه التميز بين زوجته و بناتها مادمن يضعن نفس الخاتم.

و بهذه التوليفة ينقلنا الكاتب إلى مسألة سفاح الأقارب لأن جميع المجتمعات تعتبر زوج الأم في مقام الأب البيولوجي، و بهذه الإزاحة أعاد صاحب القصة تصوير لقطة سفاح الأقارب التي مازالت في الضمير الجمعي للبشرية (مهنا يوسف حداد،2011) .

5.المنهجية:

اعتمدنا المنهج الوصفي الذي يعتمد على دراسة الظاهرة كما توجد في الواقع، ويهتم بذكر خصائصها و يقوم بتحديد المتغيرات التي تشكل العلاقات، كما ينتهي بالتعبير عنها كيفيًّا بتوضيح معالمها ، وكميًّا بإعطائها وصفًا رقميًّا من خلال أرقام وجداول توضح مقدار هذه الظاهرة أو حجمها أو درجة ارتباطها مع الظواهر الأخرى.

وإن المتتبع لتطور العلوم يستطيع أن يلمس الأهمية التي أحرزها المنهج الوصفي في هذا المجال، ويرجع ذلك إلى ملاءمته لدراسة الظواهر الاجتماعية و الإنسانية ؛ يصف الظاهرة النفسية وصفًا موضوعيًّا من خلال البيانات التي يتحصل عليها باستخدام أدوات وتقنيات البحث العلمي.

1.5. أداة البحث:

من اجل الإجابة على تساؤلات الدراسة و اختبار فرضياتها اختار الباحث رائز تفهم الموضوع T.A.T الإسقاطي Test projectif لصحابه Henri Murray ، يعد من الاختبارات التي تُساعد على الكشف مختلف جوانب الشخصية اللاواعية كالدوافع والرغبات المكبوتة والمحدّدة لسلوك البشري (Shentoub, 1990).

يسمح لنا هذا الاختبار بحصر السير النفسي للفرد و تحديد بنيته النفسية، من خلال إنتاج قصة قصيرة انطلاقا من لوحة تقدم لشخص ما كمثير حسي بصري(Shentoub et Debray, 1971).

2.5. وصف أداة البحث :

الاختبار عبارة عن 31 لوحة تحتوي على رقم الترتيبي ، تصور مشاهد لشخص أو جملة أشخاص في مواقف غير محددة المعالم و في وضعيات مختلفة ، اختارت فيكا شنتوب 18 لوحة من أصل 31 لوحة يطلب من الشخص أن يبتدع قصة حول كل صورة تعرض عليه ، و يُفترض حين يسرد القصص فهو بغوص في أعماقه و ذكرياته ، كما يسقط الرغبات المكبوتة و صراعات القديمة على أبطال قصته (SHENTOUB ,1973)

فالقصص التي يؤلفها الفرد تعبر في كثير من الأحوال عن شخصيته و هي تكشف عن انفعالاته و رغباته و مخاوفه و صراعاته بكل عفوية دون أن يشعر بها ، أو يستطيع التخلص من ذاتية. إذ يُفترض أن البطل القصة ما هو إلا الشخص نفسه . وبالتالي كل ما يحدث في القصة ،إنما يحدث لذاته ، وبناء عليه يمكن القول أن المفحوص أو المؤلف يتماهى مع بطل القصة أو يكون هو الراوي للأحداث بمعنى أخر فهو يقوم بإسقاط شخصيته على القصة(عباس ،1997).

تكمن أهمية الاختبار في أنه يكشف لنا عن لاوعي الفرد و انفعالاته و رغبات المكبوتة التي أسقطت على اللوحة من خلال إنتاج إسقاطي اللغوي و أن اللاوعي مبني كاللغة و أن اللاوعي هو خطاب الآخر، الأمر الذي يسمح ''للأنا'' أن تتكون مثل خطاب (Lacan,1966).

تخلق هذه اللوحات نوعا من التناقض بين محتوى ظاهر contenu manifeste ومحتوى كامن contenu latent للوحة وذلك بالاعتماد على الفرضية الأساسية التي تنص على أن لوحات T.A.T تمثل وضعيات تحمل صراعات عالمية.

3.5. تحليل اختبار تفهم الموضوع:

تنقط محتويات القصص بالاعتماد على شبكة التنقيط أو الفرز، و التي تتكون من أربعة سلاسل، كل سلسلة تمثل مؤشرات دالة على السياقات الدفاعية التي تثيرها اللوحات.

تتمثل هذه السياقات في السياقات A وهي سياقات الرقابة المرتبطة بالصراع الداخلي،أما السياقات B فهي سياقات الليونة المرتبطة بالصراع العلائقي ، تاليها السياقات C التي تصف التجنب ، الكف والصراعات و في النهاية تأتي السياقات E وهي مؤشرات على السياقات الأولية البدائية غير مُعقلنة (Shentoub, 1987).

للسرد القصصي المنتج من خلال اختبار T.A.T ثلاثة أنماط من مقروئيات ، مقروئية موجبة (+ Lisibilité) التي تتميز بسياقات مرنة ومتنوعة، و تحتوي على عوامل من A1 و B1، و كمية لابأس بها من عواطف و صدى هوامي.

كما توجد مقروئية متوسطة (±Lisibilité) وتتميز بهيمَنة عوامل A2 و قليل من عوامل B2 ،و ندرة في عوامل C ، أما مقروئية سالبة (– Lisibilité) فهي تلك التي تتميز بسيطرة عوامل E وعوامل C .

بعد تنقيط السرد القصصي نعمد إلى تجميع السياقات في شبكة التنقيط موحدة تمكننا من حصر نوعية المقروئية و بالتالي نستنتج الفرضية التشخيصية للتنظيم النفسي.

من اجل اختبار فرضيات دارستنا أسقطنا أحداث القصة القصيرة "بيت من لحم" على لوحات اختبار تفهم الموضوع. انتهى اختيارنا على اللوحات رقم 02، رقم 05 و 9GF ذات العلاقة الارتباطية ببناء قصة يوسف ادريس التي تثير على التوالي إشكاليات التالية: الاوديبية و المنافسة و الصراع الأنثوي على الرجل و إشكالية المشهد البدائي.

اللوحة 2:

المحتوى الظاهر اللوحة مشهد قروي، في المستوى الأول فتاة تحمل كتبا، في المستوى الثاني رجل و حصان، امرأة متكئة على جذع شجرة. المحتوى الكامن تبعث اللوحة إلى استحضار الثلاثية الأوديبية (أب،أم،ابنة).يمكن أن يدور الصراع حول وضعية الفتاة تجاه الزوجين وهذا ما يبينه المحتوى الظاهر في اختلاف المستويين : المستوى 1 (الفتاة) المستوى2 (الزوجين).وتحمل انجذاب الفتاة للرجل و المنافسة المرأة.

اللوحة 5 :

المحتوى الظاهر اللوحة امرأة متوسطة العمر، يدها على مقبض الباب، تنظر إلى داخل غرفة. المحتوى الكامن تبعث اللوحة إلى الصورة الأنثوية / الأمومة التي تدخل إلى الغرفة على حين غرة في جو من التلصص البصري. تحيي اللوحة في الظرف الأوديبي الإحساس بالذنب المرتبطة بالفضول الجنسي وهوامات المشهد البدائي (Scène primitive) وهي ترجع إلى القدرة أو عدمها للتموضع بالنسبة للأنا الأعلى.

اللوحة 9GF:

المحتوى الظاهر اللوحة في المستوى الأول فتاة شابة وراء شجرة تنظر إلى فتاة شابة تجري في المستوى الأدنى (لا يوجد اختلاف في الجنس ولا في الجيل).

المحتوى الكامن تبعث اللوحة إلى المنافسة الأنثوية في ظرف درامي.يدور الصراع حول المنافسة الأنثوية، ويظهر ذلك في التشابه بين المرأتين، وتظهر إحداهما تراقب هروب الأخرى، ويمكن أن تدور المنافسة حول شخص ثالث (الرجل المحبوب).

6.مناقشة النتائج:

الجدول رقم 02 يبين النتائج المتحصل عليها من خلال تنقيط الكلمات المفتاحية للقصة القصيرة .

الشخصيات	الخاتم	المصباح	الصمت
اللحم الدافئ يرمز إلى أجساد الأرملة و بناتها. B3-2 تغليم العلاقات ،ثبوت (فرض) الموضوع الجنسي و /أو رمزية شفافة.	– خاتم زواج الأرملة من زوجها الشاب الأعمى – تسرقه الابنة الوسطى لتقضي وطرها – تعجب به الابنة الكبرى وتأخذه وكذلك الصغرى – الأم تعطيه إياهن طواعية و تتناوب عليه الأم وبناتها الثلاثة في النهاية . B3-2 شبقية العلاقات و الترميز الشفاف ،التشديد على أجزاء نرجسية ذات قيمة	يتسلل الأصبع يطفأ المصباح : أعين البنات كالكشافات المصوبة للمسافة بين أمهن وزوجها الزوج الشاب هو لمبة الكهرباء التي أضاءت حياة إلام بعد يأس " فانوس الأم الذي عشش عليه العنكبوت " – (عتمة): يطفأ المصباح عند الاقتراب من موعد المتعة بين الزوج الشاب وإحدى النساء الأربع .	عمى الآذان عمى العيون و ليس على الأعمى حرج CN-4 التركيز على الحدود و الحواف و التشديد على خصائص حسية
الشاب المقرئ الكفيف الحزين ذو الصوت الرتيب E1-4 إدراك الموضوع المهشم وأشخاص مرضى و معوقين CL1: نفوذية الحدود بين الأشخاص.			
E2-1 :ترميز على الغلق التوحيد .			

فتبقى الأم بين نارين نار الحرام ونار جوع البنات الذي لن يبرد A2-4: التركيز على صراعات داخلية و بين شخصية ضمن حركة الذهاب و الإياب نزوية.	اغرائية.	E2-3 تعبيرات عاطفية و تمثيل شامل ، تعبيرات فجة متعلقة بالموضوع الجنسي.	
E3-2, E3-1, E2-1, E3-3 E1-4, E2-3	CL-1, CN-4	B3-2	A2-4
السياقات E Série E Emergences des processus primaires	السياقات C Série C Evitement du conflit	السياقات B Série B Labilité	السياقات A Série A Rigidité

المصدر: تجميع الباحث 2021

النتائج:

أكدت نتائج التحليل من خلال عملية فرز المقروئية السردية و تاويل محتواها ،على صدق الفرضيات المطروحة في الإشكالية :

نعم اسقط يوسف ادريس رغباته المكبوتة على شخصيات قصته .

نعم أحداث "بيت لحم" بعثت إلى استرجاع المشهد البدائي من اللاشعور المؤلف.

نعم أساليب ارصان كشفت عن السياقات الأولية و التي جاءت متعلقة بالسياقات البدائية .

كما أكدت أيضا على وجود دوافع خفية تقبع وراء رغبة الإبداع كعقدة أوديب في اللوحة الأولى، اما في المقام الثاني برزت إشكالية الصراع الأنثوي على الرجل وهو المحتوى الكامن للوحة 9GF و أخيرا إشكالية المشهد البدائي و زنا المحارم في اللوحة الخامسة.

الخاتمة

ما أود التأكيد عليه بعد تحقق فرياضيات دراستنا أن الإنتاج الأدبي أو الفني الذي يرقى إلى درجة الإبداع ما هو إلا نتيجة الاستبصار الذي قام به المؤلف ، حين أدرك عقده و صراعاته النفسية . التي حولها من سبب للاضطراب إلى سبب للنجاح . لقد استطاع بفضل مكانيزمات دفاعية بسيطة أن يحول المأساة إلى ملهاة . و أن يجعل من سياقات التفكير الأولية إلى الارصان لغوي جميل حوله إلى قصة قصيرة.

لقد استطاع المبدع أن يحول ذاته إلى عدة ذوات و كل ذات منفصلة عن الأخرى بسرد لغوي استمدت خيوطها القوة من اللاشعور البعيد و السحيق في الزمن.

وما زاد الحبكة جمالا هو التحول الزماني و المكاني الذي قام به المؤلف، كأنه يحكي لنا حلما جميل استطاع أن يكثف محتواه بحرة قلم على الورق الأبيض تحولت إلى مشاهد رائعة، زينتها الاستعارات و المحسنات البديعية.

الصراعات التي حدثت بين بنيات الجهاز الهوا و الأنا و الأنا الأعلى كانت قاسية جدا لم تستطع العبور من الأعماق إلى الخارج حتى أقنعت الرقابة بحسن نواياه فطلب منها لباس قناع حتى تتنكر و تستطيع الخروج على شكل إنتاج ادبي، يبقى الصراع بين طبقات الوعي في الجهاز النفسي هو المحرك الأساسي لعملية الإبداع .

قائمة المراجع:

1-رضوان ضاضا.مدخل إلي مناهج النقد الأدبي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. الكويت، 1997.

3-Julia, K. (1997). Littérature et psychanalyse. Production déléguée Arts & Éducation. Paris.

4- كمال القاضي.يوسف إدريس بين الإبداع والسياسة والتحليل النفسي.القدس العربي. 2020.01.13 .

5- Michèle Bertrand, (2010) Argument : Scène primitive, Revue française de psychanalyse, Presses Universitaires de France, vol. 74, no 4, 26 octobre, p. 965-968

6- Brelet-Foulard F., Chabert C. (2002), Feuille de dépouillement du TAT .Nouveau Manuel du TAT. Approche psychanalytique, Paris, Dunod.

7- إثنا أرنا الحق،.الصراع الباطني للشخص الرئيسي في رواية أشواك لسيد قطب دراسة تحليلية سيكولوجية أدبية ،رسالة ماجستير ،جامعة ، جامعة ا مالانج لحكومية ،اندانوسيا،2017.

8- مصطفى لغتيري ،التحليل النفسي للأدب،القدس العربي ،عدد5 جويليه، 2020.

9- شيماء حسن جبر الساعدي. ،السرد النفسي في الرواية العراقية الحديثة ، أطروحة الدكتوراه، الجامعة المستنصرية ،العراق، 2018.

11-Shentoub (v) et Debray (r) ,1971 Fondements théoriques du processus T.A.T in Bulletin de psychologie N 229, p, 887-930.

12- Shentoub (V.), 1990 Manuel D'utilisation du TAT. Approche psychanalytique, Dunod, Paris,

13-Shentoub (v) Thematic apperception Test (T.A.T) théorie et méthode in Psychologie Française, N 32-3, 1987, p117 -122.

14-Laura Mulvey. (1986), Visual Pleasure and Narrative Cinema, in Screen, Screen, Volume 16, Issue 3, Autumn 1975, Pages 6–18,; trd Hicham Rohana.

15- Lacan, J. (1966). Ecrits 1- a 7, Seuil, Paris.

16- يوسف حداد، الانثروبولوجيا الدينية أو العلاقة التبادلية بين ظاهرتي الحضارة والديانة، الطبعة الأولى ، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع، دار اليازوري، عمّان، الأردن،2011.

17- SHENTOUB (v) Introduction théorique à la méthode du T A T in Bulletin de psychologie N 305,TXXVI,1972-1973,p 582-602.

18- فيصل عباس، الشخصية، دار الفكر العربي للطباعة و النشر. بيروت،1997.

19- سيغموند فرويد، الطوطم والحرام، ترجمة جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت،2008.

20- مصطفى، أحمد محمد فؤا، لخطاب النقدي حول فن القصة القصيرة عند يوسف إدريس،كلية التربية. قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية، مصر، 2008.